

الإبداع الفني في وجود التراث والهوية

علاقتنا بتراثنا الفني هي أقرب طريق لربط الفن المعاصر بالأصالة حيث لا يزال هذا التراث محور اهتمام الشعوب، تقيس به ارتفاع الفن وهبوطه فكلما تحرك الفنان بدافع الحرص على الأخلاق القويمة ضد مظاهر الخلل في المجتمع من حوله فإنه يكون واقعيًا في تشكيله الفني وإبداعه الأدبي، أما لو تجرد الفنان من الذات وانخلع من الهوية فإنه يسقط في دائرة الزيف والفوضى والسطحية التي لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرا.

إن الفنان المسلم يستلهم قيمه من تراثه وعبقريته تاريخه التي رجحت كفة العطاء الإسلامي في العصور المظلمة، والأثر المباشر لإعلاء تراثنا الفني هو إعطاء صورة صادقة عن حضارتنا الإسلامية بذخائرها وكنوزها التي تشكل جذورنا الحضارية .

إن رسالة الفن الإسلامي التي تهدف إلى تنسيق علاقة الإنسان بالكون والحياة على أساس العبودية للخالق خالدة خلود التاريخ لأنها ارتبطت بالحاجة الدائمة إلى تأسيس كيان إنساني عقلائي، وهذه هي أصالة الفن إن صدق في أهدافه وتوجهاته كما يقول مارتن هيدغر: « الفن ليس مجرد كلمة ولكنه ماهية والماهية لا تتغير عبر التاريخ ».

إن التجاوب بين عقل الفنان وهويته هو فصل ما بين غالي الفن ورخيصه، وجيده، ورديئه، وصاعده وهابطه، وهو الذي يمنح الفنان رقة الحس، ونظافة المشاعر، ورعاية المثل مهما حاولت التحديات ومهما بذل الغزو الفكري من محاولات لإحلال ثقافته وأفكاره ومبادئه وعقائده.

وإذا كان خير الفن أنفعه للناس، فبقاء الفنان وفيما مخلصا لدينه وعقيدته يجعل العبقريّة تتجلى في روعة إنتاجه وتصوغ أفكاره واتجاهاته وقيمه، فتراه يسبح دائما في فضاء مليء بالنور والهداية .

إن واقعية الفن الأصيل وجاذبيته تنبثق من كون هذا الفن لتمجيد القيم ووسيلة لعزل الانحراف عن واقع الإنسان بما يحقق النقاء والسمو والارتقاء، كما إن الإبداع في الفن هو ثمرة التفاعل بين الفكر والضمير والوجدان، فإذا لم يعمق الفنان انتماءه فقد يسقط في قارعة الطريق الذي يسير فيه وتتعثّر قدراته فلا يستطيع للفن طلبا.

إن المعرفة الصحيحة التي تتولد عن طريق إبداعات الفنان هي ثمار لتجارب حية وإلهامات ناتجة عن تفاعل الفكرة الإنسانية مع آمال الفنان وطموحاته بعد أن تتعزز صلته بتراثه وانتمائه، وتصلق موهبته بالانسجام النفسي مع الكون والحياة بعيدا عن العشوائية التي تنذر بتلاشي الخصائص الإبداعية للفنان في أي لحظة من اللحظات.



بقلم : محمود إسماعيل
مصر